سورة يس

هى مكية إلا قوله : « وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ » فمدنية .

وآيها ثلاث وثمانون ، نزلت بعد سورة الجن.

ووجه اتصالها بما قبلها :

(١) إنه لما جاء فى السورة السالفة قوله: « وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ » وقوله: « وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ » وقد أعرضوا عنه وكذبوه — افتتح هذه السورة بالقسم بصحة رسالته وأنه على صراط مستقيم لينذر قوما ما أنذر آباؤهم .

(٢) إنه قال فيما قبلها « وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُسَمًّى » وقال فى هذه : « وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا » وقال : « وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ » .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤) تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٥) لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (٦) لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِى أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِىَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (٨) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩) وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠) إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ

اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١١) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (١٢) .

شرح المفردات

(يس) تقدم الكلام فى نظائره من الحروف المقطعة فى أوائل السور ، وأن الرأى الرجيح فيها أنها حروف تنبيه نحو ألا و يا ، وينطق بأسمائها فيقال (ياسين) .

روى عن ابن عباس أنه قال يس : أى يا إنسان بلغة طىء ، والحكيم : أى ذى الحكمة ، على صراط مستقيم : أى طريق قويم من عقائد صحيحة وشرائع حقة ، حق : أى ثبت ووجب ، الأغلال : واحدها غُلّ ، وهو ما يشد به اليد إلى العنق للتعذيب والتشديد ، والمقمح : الذى يرفع رأسه ويغض بصره .

قال أبو عبيدة : يقال قمح البعير : إذا رفع رأسه عن الحوض ولم يشرب ، من بين أيديهم : أى من أمامهم ، فأغشيناهم : أى فغطينا أبصارهم ، والذكر : القرآن ، وخشى الرحمن : أى خشى عقابه ، بالغيب : أى قبل حلوله ومعاينة أهواله ، ماقدّموا : أى ما أسلفوا من الأعمال الصالحة والطالحة ، وآثارهم : أى ما أبقوه بعدهم من الحسنات كعلم علّموه ، أو كتاب ألّفوه ، أو بناء فى سبيل الله بنوه ، أو من السيئات كغرس بذور الضلالات بين الناس ، فى إمام مبين : أى فى أصل يؤتم به .

الإيضاح

(يس والقرآن الحكيم . إنك لمن المرسلين . على صراط مستقيم) أى أقسم بالقرآن المحكم الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إنك أيها الرسول لمن المرسلين الذين هم على دين قديم وشرع مستقيم .

(تنزيل العزيز الرحيم) أى هذا الصراط المستقيم ، والدين القويم ، تنزيل من رب العزة الرحيم بعباده .

ونحو الآية قوله : « وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . صِرَاطِ اللهِ الذِى لَهُ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ » .

(لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون) أى إنا أرسلناك لتنذر العرب الذين لم يأتهم نذير من قبلك ، فهم فى غفلة عن معرفة الشرائع التى فيها سعادة البشر ، وإصلاح المجتمع .

وذكرهم وحدهم هنا ؛ لأن الخطاب كان معهم ، وهذا لايمنع أنه مرسل إلى الناس كافة كما قال : « قُلْ يٰأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً » .

(لقد حق القول على أكثرهم فهم لايؤمنون) أى لقد وجب العقاب على أكثرهم ، لأنه سبحانه سجل عليهم فى أم الكتاب أنهم لايؤمنون به ولا يصدقون برسوله ، لما علم من خبث نفوسهم وسوء استعدادهم ، فلا تعمُر قلوبهم بالإيمان ، ولا تُخْبِت لله فى أى زمان .

ثم ضرب لهم مثلا فقال :

(إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالاً فهى إلى الأذقان فهم مقمحون) أى إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى واصلة إلى الأذقان ملصقة بها ، فهم من جَرَاء ذلك مقمحون أى مرفوعو الرءوس ، إذ أن طوق الغُلّ الذى فى عنق المغلول يكون فى ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقةٌ فيها رأس العمود خارجا من الحَلْقة إلى الذقن ، فلا يمكّنه من أن يطأطئ رأسه فلا يزال مقمحا .

والمراد منعناهم بموانع عن الإيمان تشبه ما ذكر ، فهم غاضو أبصارهم لايلتفتون إلى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رءوسهم له .

ثم أكد ماسبق وزاده بيانا وتفصيلا فقال :

(وجعلنا من بين أيديهم سدّا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لايبصرون) أى إنه زُيِّن لهم سوء أعمالهم وأعجبوا بأنفسهم واستكبروا عن اتباع الرسول وشمخوا بأنوفهم ولم يخضعوا لما جاءهم به وسدوا أبواب النظر عما ينفعهم ولم يقبلوا شيئا سوى ما هم عليه ؛ فما مثلهم إلا مثل من أحاط به سدّان من الأمام والخلف فحجباه عن النظر فهو لا يبصر شيئا .

والخلاصة — إنهم محبوسون فى سجن الجهالة ، ممنوعون عن النظر فى دلائل الأنفس ودلائل الكون ، محرومون عن التأمل فيما حل بمن قبلهم من الأمم الخالية والتفكر فى العواقب المستقبلة .

ثم ذكر فذلكة لما تقدم فقال :

(وسواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون) أى وسواء على هؤلاء الذين حق عليهم القول ، إنذارك إياهم وتركه ، فإنه قد طبع الله على قلوبهم فهم لايؤمنون ، إذ قد خبثت نفوسهم وساء استعدادهم وغُشِّيت أبصارهم فلا تقدر على النظر فى الدلائل المشاهدة ، ولا تستطيع التأمل فى جمال الكون .

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ويُنكر الفمّ طعم الماء من سقم

ثم أعقب ذلك ببيان من يتأثر بالإنذار فقال :

(إنما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم) أى إنما ينفع إنذارك من آمن بالقرآن واتبع ما فيه من الأحكام وخشى عقاب الله قبل حلوله ومعاينة أهواله ، فإنه سبحانه عظيم الرحمة ، أليم العذاب كما قال : « نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ » .

فبشر هذا الذى اتبع أحكام الدين وخاف العقاب بمغفرة ما فرط منه من الزلات ، وأجر كريم ، ونعيم مقيم ، لا يستطاع وصفه مما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

ونحو الآية قوله : « إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ » .

ثم ذكر ما يؤكد الخشية من الله وخوف عقابه بقوله :

(إنا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم) أى إنا نحيى الموتى جميعا من قبورهم يوم القيامة ، ونكتب ما أسلفوا من عمل ، وتركوا من أثر حسن بعدهم كعلم علّموه أو حبيس فى سبيل الله وقفوه ، أو مستشفى لنفع الأمة أنشئوه ، أو أثر سيىء كغرس الأحقاد والأضغان ، وترتيب مبادى الشر والعدوان بين الأنام .

روى ابن أبى حاتم عن جرير بن عبد الله البَجَلى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ، ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده لاينقص من أوزارهم شيئا ، ثم تلا : وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ » والمراد من كتابة ذلك مجازاتهم عليه إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر .

ثم ذكر أن الضبط والإحصاء لايخص أعمال بنى آدم ، بل يتناول جميع الأشياء فقال :

(وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين) أى وبيّنا كل شىء وحفظناه فى أصل عظيم يؤتم به ويتبع ولا يخالف ، وهو علمنا الأزلى القديم الذى لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

ونحو الآية قوله : « عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّى فِى كِتَابٍ لَايَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنْسَى » وقوله : « وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى الزُّبُرِ . وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ » .

وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ

مُرْسَلُونَ (١٤) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِنْ شَيْءٍ ، إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٧) قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨) قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ ، أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (١٩) وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٢١) وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٤) إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (٢٥) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ .

شرح المفردات

ضرب المثل : يستعمل تارة فى تشبيه حال غريبة بأخرى مثلها كما فى قوله : « ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ » الآية ، ويستعمل أخرى فى ذكر حال غريبة و بيانها للناس من غير قصد إلى تشبيهها بحال أخرى نحو قوله: « وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ » أى و بيّنا لكم أحوالا غاية فى الغرابة كالأمثال ، والقرية : هى أنطاكية كما روى عن قتادة وعكرمة ، والمرسلون : هم رسل عيسى من الحواريين ، فعززنا : أى فقوّينا وشددنا ، البلاغ المبين : أى التبليغ الواضح الظاهر للرسالة ،

تطيَّرنا : أى تشاءمنا ، لنرجمنكم : أى لنرمينكم بالحجارة ، طائركم : أى سبب شؤمكم مسرفون : أى مجاوزون الحد فى العصيان ، أقصى المدينة : أى أبعد مواضعها ، يسعى : أى يعدو و يسرع ، لاتغن : أى لاتنفع ، ولا ينقذون : أى لايخلصونى .

المعنى الجملى

بعد أن ذكر أن هؤلاء المشركين قد ختم الله على قلوبهم فهم لايؤمنون — أردف ذلك بذكر مثل لقوم حالهم كحالهم فى الغلوّ فى الكفر والإصرار على التكذيب والاستكبار على الرسل وصم الآذان عن سماع الوعظ والإرشاد ، وهم أهل قرية أنطاكية ببلاد الشام ، فقد كان قصصهم مع رسل الله كقصص قومك معك فى العناد والاستكبار والعتوّ والطغيان .

الإيضاح

(واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون) أى واجعل أصحاب قرية أنطاكية مثلا لهؤلاء القوم إذ أصروا على تكذيب الرسل الذين أرسلوا إليهم كما أصر قومك على تكذيبك عنادا واستكبارا .

والمشهور لدى المفسرين ومنهم قتادة وغيره أن الرسل هم رسل عيسى عليه السلام من الحواريين بعثهم إلى أهل أنطاكية، وكان منهم ماقصه الله علينا فى كتابه.

ويرى ابن عباس واختاره كثير من جلّة العلماء أن الرسل هم رسل الله أرسلهم ردءا لعيسى عليه السلام مقررين لشريعته كهرون لموسى عليه السلام، ويؤيد ذلك:

(١) قولهم (ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون . وما علينا إلا البلاغ المبين) .

(٢) إنهم لو كانوا رسل المسيح لما قالوا لهم : (إن أنتم إلا بشر مثلنا) .

(٣) إن أهل أنطاكية آمنوا برسل المسيح إليهم ، فقد كانوا أول أهل مدينة آمنت بالمسيح ومن ثم كانت إحدى المدن الأربع اللاتى فيهن بطارقة ، وهن القدس

وأنطاكية والإسكندرية ورومية ، لأنها مدينة الملك قسطنطين الذى نصر دينهم ووطده ، ولما ابتنى القسطنطينية نقلوا البطريق من رومية إليها .

ثم فصل ما تقدم وزاده بيانا فقال :

(إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون) أى حين أرسلنا إليهم رسولين من عندنا فأسرعوا فى تكذيبهما فقويناهما وشددنا أزرهما برسول ثالث فقالوا لأهل القرية : إنا إليكم مرسلون من ربكم الذى خلقكم بأن تخلصوا له العبادة وتتبرءوا مما تعبدون من الآلهة والأصنام .

والمشهور أن الرسولين الأولين كانا يوحنا و بُولُس والرسول الثالث شمعون .

ثم ذكر شبهةً كثيرًا ما تمسك بها المكذبون للرسل من الأمم الماضية .

(قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شىء إن أنتم إلا تكذبون) أى قال أصحاب القرية للثلاثة الذين أرسلوا إليهم : ما أنتم إلا بشر مثلنا من غير مزية داعية لاختصاصكم بما تدّعون ، وما أنزل الرحمن إليكم رسالة ولا كتابا ولا أمركم فينا بشىء ، ما أنتم إلا كاذبون فى قِيلكم إنا مرسلون إليكم .

وفى قولهم «ما أنزل الرحمن» إيماء إلى أنهم يعترفون بالألوهية لكنهم ينكرون الرسالة و يتوسلون بالأصنام . وحينئذ رد عليهم الرسل مؤكدين رسالتهم .

(قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون) أى فأجابهم الرسل قائلين : الله يعلم إنا رسله إليكم ولو كنا كذبة عليه لانتقم منا أشد الانتقام ، ولكنه سيعزنا و ينصرنا عليكم وستعلمون لمن تكون عقبى الدار ؟.

ونحو الآية قوله : « قُلْ كَفَى بِاللهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللهِ أُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ » .

ثم ذكر الرسل ما أمروا به فقالوا :

(وما علينا إلا البلاغ المبين) أى إنما علينا أن نبلغكم ما أرسلنا به إليكم ، فإن أطعتم ربحتم وكانت لكم سعادة الدارين ، وإن لم تجيبوا فستعلمون عاقبة تكذيبكم حين يحيق بكم الوبال والنكال .

والتبليغ المبين إنما يكون إذا اصطحب بالآيات الباهرة ، والمعجزات الدالة على أنهم رسل من عند الله .

والخلاصة — ماعلينا من جهة ربنا إلا التبليغ المعزز بالآيات البينات وقد فعلنا. فأىّ شىء تطلبون منا حتى تصدقوا دعوانا ؟ .

ولما ضاقت بهؤلاء المكذبين الحيل وأعيتهم الحجج لجئوا إلى التهديد والوعيد .

(قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم) أى قالوا إنا تشاءمنا من تبليغكم ودعوتكم ، فقد افتتن بعض القوم بكم وتفرقت كلمتنا وانفرط عقد وحدتنا ، ولئن لم تنتهوا عن بثّ هذه الدعوة بيننا لنرجمنكم بالحجارة رجما ولنمثلن بكم شر التمثيل أو لنعذبنكم عذابا شديدا وأنتم أحياء .

والخلاصة — إنا إما نقتلكم أو نلقيكم فى غيابات السجون ونتكل بكم تنكيلا عظيما .

حينئذ أجابهم الرسل :

(قالوا طائركم معكم) أى قالوا لهم سبب شؤمكم من أفعالكم لا من قِبَلنا كما تزعمون ، فأنتم أشركتم بالله سواه وأولغتم بالمعاصى واجترحتم السيئات ، أما نحن فلا شؤم من قِبلنا ، فإنا لاندعو إلا إلى توحيد الله و إخلاص العبادة له والإنابة إليه، وفى ذلك منتهى اليمن والبركة .

(أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون) أى أمن جراء أنا ذكرناكم وأمرناكم بعبادة الله مخلصين له الدين تقابلوننا بمثل هذا الوعيد ؟ ، بل أنتم قوم ديدنكم الإسراف ومجاوزة الحد فى الطغيان، ومن ثم جاءكم الشؤم ولادخل لرسل الله فى ذلك.

والخلاصة — أنتم قوم مسرفون فى ضلالكم متمادون فى غيكم تتشاءمون بمن يجب التبرك بهم من هداة الدين ، فقد جعلتم أسباب السعادة أسبابا للشقاء .

ولا يخفى ما فى ذلك من شديد التوبيخ وعظيم التهديد والتنبيه إلى سوء صنيعهم بحرمانهم من الخيرات ، ونحو الآية قوله تعالى حكاية عن قوم فرعون « فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ، أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ » .

ثم أبان أنَّ الحق لا يعدم نصيرا وأن الله يقيض له من يدافع عنه فقال :

(وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين . اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون) أى وجاء من أطراف المدينة رجل يعدو مسرعا لينصح قومه حين بلغه أنهم عقدوا النية على قتل الرسل فتقدم للذبّ عنهم ابتغاء وجه الله ونيل ثوابه ، قال يا قوم اتبعوا رسل الله الذين لا يطلبون منكم أجرا على تبليغهم ولا يطلبون علوا فى الأرض ولا فسادا ، وهم سالكون طريق الهداية التى توصل إلى سعادة الدارين .

روى أن هذا الرجل يسمى حبيبا ، وكان نجارا ، قال ابن أبى ليلى : سباقو الأمم ثلاثة لم يكفروا قط طرفة عين : على بن أبى طالب ، وصاحب يس ، ومؤمن آل فرعون . ورواه الزمخشرى حديثا ، وقال ابن كثير إنه حديث منكر .

ثم أبان لهم أنه ما اختار لهم إلا ما اختاره لنفسه فقال :

(وما لى لا أعبد الذى فطرنى و إليه ترجعون ؟) أى وما يمنعنى من إخلاص العبادة للذى خلقنى ، و إليه المرجع للجزاء يوم المعاد فيجازيكم على أعمالكم إن خيرا فخير ، و إن شرا فشر .

وفى هذا تعريض لهم بتركهم عبادة الخالق وعبادة غيره ، وتهديد بتخويفهم بالرجوع إلى شديد العقاب .

ثم أعاد التوبيخ مرة أخرى مبينا عظيم حمقهم فقال :

(أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لاتغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون ؟) أى أأعبد من دون الله آلهة لاتملك من الأمر شيئا ، وهو لو أرادنى بسوء فلا كاشف له إلا هو ، ولا تملك الآلهة دفعه عنى ولا منعه .

(إنى إذا لفى ضلال مبين) أى إنى إذا فعلت ذلك واتخذت من دونه آلهة لفى ضلال بيّن لايخفى على من له أدنى مسكة من عقل ، فإن إشراك من لايخلق وليس من شأنه النفع والضر بمن يخلق وهو القادر على كل شىء ـ خطأ ظاهر وغلط واضح لدى أرباب الأحلام وذوى الحجا .

ثم التفت إلى الرسل وخاطبهم منيبا إلى ربه فقال :

(إنى آمنت بربكم فاسمعون) أى إنى آمنت بربكم الذى أرسلكم فاشهدوا لى بذلك عنده .

روى أنه لما قال ذلك وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يجد من يدافع عنه . قال قتادة : جعلوا يرجمونه بالحجارة وهو يقول : اللهم اهد قومى فإنهم لايعلمون ، فلم يزالوا به كذلك حتى فارق الحياة .

ثم ذكر مآل أمره وما قاله حين وجد النعيم والكرامة ، فقال :

(قيل ادخل الجنة ، قال يا ليت قومى يعلمون . بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين) أى قال الله له : ادخل الجنة كفاء ما قدمت من عمل وأسلفت من إحسان ، فلما دخلها وعاين ما أكرمه الله به لإيمانه وصبره قال : ليت قومى يعلمون بما أنا فيه من نعيم وخير عميم لإيمانى بربى وتصديقى برسله وصبرى على أذى قومى ، وإنما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم ذلك على اكتساب المثوبة مثله بالتوبة عن الكفر والدخول فى حظيرة الإيمان والطاعة اتباعا لسنن أولياء الله الذين يكظمون الغيظ ويترحمون على الأعداء .

قال ابن عباس : نصح قومه حيا بقوله : (يا قوم اتبعوا المرسلين) و بعد مماته بقوله : (يا ليت قومى يعلمون . بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين) .

و إلى هنا وقف القلم فى تفسير هذا الجزء من الكتاب الكريم . وكان الفراغ منه بمدينة حلوان من أرباض القاهرة قاعدة الديار المصرية فى اليوم الثامن عشر من شعبان سنة أربع وستين وثلثمائة بعد الألف من الهجرة النبوية .

والحمد لله على إحسانه و إنعامه ، وصلّ ربنا على محمد وآله الطيبين الأخيار وصحبه الأبرار .

فهرست

أهم المباحث العامة التى فى هذا الجزء

الصفحة	المبحث
٣	مضاعفة ثواب أمهات المؤمنين رضى الله عنهن .
٥	مكانتهن بين النساء وأمرهن بالقرار فى البيوت .
٧	من هم أهل البيت ؟ .
٨	ما أعده الله للمسلمين والمسلمات من الأجر والكرامة فى الدار الآخرة .
٩	الأوصاف التى يستحق بها عباده الثواب العظيم .
١٠	أىّ المجاهدين أعظم لله أجراً ؟ .
١١	قصة زينب بنت جحش .
١٢	الحكمة فى زواجه صلى الله عليه وسلم بها .
١٥	ما كانت تفخر به زينب على أزواج النبى صلى الله عليه وسلم .
١٦	أبوّة محمد صلى الله عليه وسلم للمؤمنين أبوة تعظيم و إجلال .
١٧	أولاد النبى عليه الصلاة والسلام .
١٩	أمره عليه الصلاة والسلام باحتمال أذى المشركين و بالتوكل عليه .
٢٠	لاعدّة للمطلقة قبل الدخول .
٢٣	بعض خصائص النبى صلى الله عليه وسلم فى الزواج .
٢٥	تخييره صلى الله عليه وسلم فى مضاجعة من شاء من نسائه .
٢٦	نهيه صلى الله عليه وسلم عن زواج غير الموجودات معه ، وعن استبدال غيرهن بهنّ .
٢٧	آية الحجاب وما فيها من أحكام وآداب .
٢٨	النهى عن إزعاج النبى صلى الله عليه وسلم إذا كان فى الخلوة .
٢٩	يحرم اللبث على المدعوّ إلى طعام بعد أن يطعم إذا كان فى ذلك أذى لرب البيت .

obeikandl.com

الصفحة المبحث

٣٠ قال عمر : وافقت ربى فى ثلاث .
٣١ منع المؤمن عن نكاح أزواج النبى صلى الله عليه وسلم .
٣٣ احترام النبى صلى الله عليه وسلم فى الملإ الأعلى والملإ الأدنى .
٣٥ من نسب إلى مؤمن أو مؤمنة مالم يعملا فقد اجترح إثماً عظيما .
٣٧ أمر النساء بالتستر و إرخاء الجلابيب صيانة لهن عن الأذى .
٣٨ توعد الله أصنافاً ثلاثة : بالقتال ، والقتل ، أو النفى من الديار .
٤١ ندم المشركين يوم القيامة وتمنيهم أن لو كانوا أطاعوا الله .
٤٤ الأقوال والأفعال التى تكون سبب الفوز العظيم .
٤٦ فعل التكاليف الشرعية وسيلة الظفر والفلاح .
٤٧ أسباب تعدد زوجاته صلى الله عليه وسلم . ٤٨ الأسباب العامة لذلك .
٤٩ الأسباب الخاصة بزواج كل واحدة من أمهات المؤمنين .
٥٢ أسباب إباحة تعدد الزوجات فى الإسلام .
٥٣ ما حوته سورة الأحزاب من أغراض ومقاصد .
٥٥ وجه اتصال سورة سبأ بما قبلها .
٥٦ شمول علمه تعالى لكل ما فى السموات والأرض .
٥٧ إثبات البعث والجزاء . ٥٨ الحكمة فى البعث والجزاء .
٥٩ أهل الكتاب الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم يعتقدون قيامها ومجيئها
٦٠ ما قاله المشركون على سبيل التهكم ممن قال بالبعث .
٦١ ادعاؤهم أن هذه المقالة لايقولها إلا مفتر أو مجنون .
٦٢ تنبيههم إلى مايرون من آثار قدرته تعالى .
٦٣ ما آتى الله داود من فضل ونعمة . ٦٤ تسخير الريح لسليمان .
٦٦ تسخير الجن . ٦٧ الأرضة دلت على موت سليمان عليه السلام .

الصفحة	المبحث
٧٠	عقاب المعرضين عن شكر النعم .
٧١	سدّ مأرب — سدّ العَرِم .
٧٢	الكشف الحديث دل على صدق ما جاء فى القرآن .
٧٣	النعم التى أوتيها السبئيون .
٧٤	عقاب أهل سبأ باتباعهم لوساوس الشيطان .
٧٥	طغيانهم فى الأرض و إفسادهم إلا قليلا منهم .
٧٦	تأنيب قريش على عبادتها الأوثان والأصنام .
٧٨	الشفاعة لا تنفع إلا لمن أذن الله له بها .
٧٩	أمر الرسول بأن يقول للمشركين : علىّ إجرامى وعليكم إجرامكم ، والحاكم بيننا هو الله .
٨٢	رسالة محمد صلى الله عليه وسلم عامة للأسود والأحمر .
٨٣	استعجال المشركين للعذاب تهكما وازدراء .
٨٤	إنكار المشركين للقرآن والكتب التى قبله .
٨٥	الحوار الذى بين المشركين ومعبوديهم يوم القيامة .
٨٦	تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم على إنكار مترفى قومه له ، و بيان أنهم ليسوا ببدع فى ذلك .
٨٨	سعة الرزق لا تدل على رضا الله عن المرء ولا غضبه عليه .
٨٩	العمل الصالح مع الإيمان هو الزلفى عند الله .
٩٠	فى الحديث : « اللهم أعط منفقاً خلفاً ، وممسكا تلفاً » .
٩١	أكثر المشركين مؤمنون بالجن مصدقون لهم فيما يقولون .
٩٤	قال المشركون : القرآن إفك مفترى و إنه سحر بين .
٩٥	ما ردّ به سبحانه على هذه المقالة .
٩٦	طالب الله الكفار بالتريث فى هذا الحكم ليعلموا الحق .
٩٧	سبب نزول الآية (تبت يدا أبى لهب) .

obeikandl.com

الصفحة	المبحث
٩٨	العدة بنشر الإسلام وتبلج نوره .
٩٩	« إنكم لاتدعون أصم ولا غائباً إنما تدعون سميعاً » الحديث .
١٠١	أنى لهم الإيمان يوم القيامة وقد كفروا من قبل؟.
١٠٤	الأجنحة ـ فى العالم المادى تساعد على الطيران ، وفى عالم الأرواح ترشد إلى القدرة .
١٠٥	ما كان يقوله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من الصلاة و بعد الرفع من الركوع.
١٠٦	الأمر بذكر النعم والشكر عليها .
١٠٧	تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه ليس ببدع بين الرسل .
١٠٩	لحزب الشيطان العذاب الشديد ولحزب الله المغفرة .
١١٠	ضرب المثل على تحقق البعث والنشور.
١١٣	لمن سعى فى ضعف الإسلام عذاب شديد والله يحبط عمله .
١١٤	الآجال والأعمار أحصاها الله فى كتاب .
١١٥	البراهين الدالة على الوحدانية والقدرة .
١١٧	النعى على المشركين فى عبادة الأصنام والأوثان .
١١٨	من أصول الدين أن لا تزر وازرة وزر أخرى .
١١٩	البشارة والإنذار إنما تجدى نفعاً لدى من يخشى الله .
١٢٠	تسلية الرسول عن عدم قبول المشركين دعوته .
١٢١	لم يترك الله أمة سدى بلا نذير .
١٢٣	الهداية والتوفيق بيد الله سبحانه .
١٢٤	قومك ليسوا ببدع فى الأمم .
١٢٥	الاعتبار بالآيات الكونية .
١٢٦	لايعلم بديع صنع الله إلا العالم بأسرار الكون .
١٢٨	الذين يتبعون أحكام الدين لهم تجارة لن تبور.
١٢٩	القرآن الكريم مصدق لما بين يديه من الكتب السماوية .

الصفحة المبحث

١٣٠ المؤمنون أقسام ثلاثة .
١٣١ المؤمنون حين يدخلون الجنة يقولون : الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن .
١٣٢ الكافرون يوم القيامة يطلبون العودة إلى الدنيا ليعملوا صالحاً .
١٣٣ ما أجيبوا به عن هذا الطلب . ١٣٤ علم الله تعالى محيط بجميع الأشياء .
١٣٦ تبكيت المشركين على عبادة الأوثان .
١٣٧ نظام الجاذبية .
١٣٩ إنكارهم لرسالة النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن كانوا مترقبين لها .
١٤٠ تهديد المشركين بحلول العقاب كما حل بمن قبلهم .
١٤١ تنبيههم إلى آثار الغابرين الذين خلوا من قبلهم .
١٤٢ لو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة .
١٤٣ مجمل ما حوته سورة فاطر من حكم وأحكام .
١٤٤ وجه اتصال سورة يس بما قبلها .
١٤٥ المراد بياسين .
١٤٦ جعل الأغلال فى عنق أهل النار .
١٤٧ لا فائدة فى إنذار هؤلاء المشركين .
١٤٨ من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده .
١٤٩ ضرب المثل بأهل أنطاكية .
١٥٠ من رسل الله الذين أرسلوا إلى أهل أنطاكية ؟ .
١٥١ مقالة أهل القرية للرسل .
١٥٢ ما ردّ به الرسل عليهم .
١٥٣ الحق لا يعدم نصيراً .
١٥٤ مآل أمر ذلك الواعظ .